﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ١٢٥﴾ [الأعراف: 125]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

المُناسبةُ بين الوعيدِ بالعذابِ والتّقتيلِ، والفرحِ بالمُنْقلَبِ إلى الله الجليل

لما كان نوعُ العقاب غريبًا مُرعبًا تشوّقتِ النّفوسُ إلى جوابِهم، أخضوعٌ، وخشيةٌ، أم قوّةٌ، وثباتٌ، فاستأنفه بقولِه: ﴿قَالُوٓاْ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مُنقَلِبُونَ﴾: القاف، واللام، والباء أصلان صحيحان: أحدُهما يدلُّ على خالصِ شيءٍ وشريفِه وقد تقدّم تفصيلُه في الآية (100) من سورة الأعراف لفظةِ ﴿قُلُوبِهِمْ﴾. أمّا الأصلُ الآخرُ فهو: ردُّ شيءٍ من جهةٍ إلى جهةٍ، وتحويلُ الشّيءِ عن وجهِه، وتصريفِه، وصرفِه عن وجه إلى وجهٍ، أي: تَغَيُّر حالِه إلى عكسِ ما كانت، كقلب الثّوب، وقلبِ الإنسان، أي: صرفُه عن طريقته. ومنه عبّروا باللّفظة عن الرجوع، أي: الانقلاب. وما تصرّف منها فهي في القرآن بمعنى الرّجوع حقيقةً، أو مجازًا[2].

❁ المعنى الإجْماليُّ:

بَركةُ بَشاشةِ الإيمانِ، تتجلّى في الإيقانِ بما عندَ الرّحمنِ

قالوا بجَمْعهم، ولم يرتعِد منهم إنسانٌ، ولا تزلزل عمّا منحَه الله به من رُتبة الإيمان بكمال التّسليم، والاتّكالِ على الله تعالى، والثّقة بما عنده: إنّا إلى ربّنا الذي ما زال يُحسنُ إلينا بنعمهِ الظّاهرة، والباطنةِ حتى جعل خاتمتَنا أعظمَ النِّعم، لا إلى غيرِه؛ مُنقلبون بالموت انقلاباً ثابتاً لا انفكاكَ لنا عنه إنْ صلبْتَنا، أو تركْتَنا، لا طمعَ لنا في البقاء في الدنيا، فنحن لا نُبالي بعد علْمِنا بأنا سننقلبُ إذا قُتلنا إلى من يُحسنُ إلينا، أيًّا كان حالُ انقلابنا. فإنّا راجعون إلى

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 3/85.

(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (قلب).

ثواب ربّنا يومَ الجزاء على ما نلْقاه منَ الشّدائد، أو أنّا ننقلبُ إلى لقاء ربّنا ورحمتِه وخلاصِنا منك ومن لقائك، أو إنّا ميّتون مُنقلبون إلى الله فلا نبالي بالموت، إذ لا تقدرُ أن تفعل بنا إلا ما لا بدَّ لنا منه[1].

وتُرشدُ الآية الكريمة: إلى أنَّ الإيمان حين يلامسُ شَغاف القلوب، ويذوقُ المؤمن حلاوتَه، ويستشعرُ نورَ الهداية، بعد ظُلمة الكفرِ؛ فإنه يأنسُ بقُرب ربّه، ويتشوّفُ الى لقائِه.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بَلاغةُ الفصْلِ على الاستئنافِ البيانيّ:

فُصلت جملةُ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ الاستئنافيةُ البيانيةُ؛ لوقوعها في سياق المُحاورة، وهو جوابٌ عن وعيدِ فرعونَ بأنّه وعيدٌ لا يضيرهم؛ لأنّهم يعلمون أنّهم صائرون إلى الله ربِّ الجميعِ[2].

وقـوعُ المضمونِ في سِـيـاقِ المُحاوَرةِ، يَعكسُ حَساسيّةَ الموقفِ وحَرَجِه

دَلالةُ الجمْعِ في ﴿قَالُوٓاْ﴾ في سِياقِ الآيةِ:

يشير الجمعُ إلى أنَّ القائلين هم السَّحرةُ الذين آمنوا بالله وبرسوله موسى ﷺ، وذلك بعد أن شهدوا بالحقِّ وتحدَّوْا فرعونَ، وتحمَّلوا تهديدَه وتعذيبَه، فهم يعبِّرون بصوتٍ واحدٍ ثابتٍ دون تردّدٍ أو مواربةٍ عن تفويض أمرِهم إلى الله وثقتِهم به، ورجائِهم في رحمتِه ومغفرتِه، وهذا يدلُّ على صدْق إيمانِهم بالله وصبْرِهم على المصائب التي تنالُهم في سبيل الله.

أهمّيّةُ التَّعْبير بـصَـوتٍ واحـدٍ، عـن تـفـويـضِ أمْرِهم إلى الله

بَلاغةُ الإيجازِ في الجوابِ الصّادرِ منهم:

جاء جوابُهم موجزًا إيجازًا بديعًا دالًّا على كمال التّسليم والتّوكُّل على الله تعالى والثّقةِ بما عنده؛ لأنه يتضمّنُ أنّهم يرجون ثوابَ الله على ما ينالُهم من عذابِ فرعونَ، ويرجون منه مغفرةَ ذنوبِهم،

الإفْـصَـاحُ عن مَقْصدِ السّحَرةِ في التّسليمِ، والـتّـوكُّـلِ على الله العظيمِ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/365، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 3/85.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/55.

ويرجون العقابَ لفرعونَ على ذلك، أو أنّا ننقلب إلى لقاء ربّنا ورحمتِه وخلاصِنا منك ومن لقائك، أو أنّا ميّتون مُنقلبون إلى الله فلا نبالي بالموت إذ لا تقدرُ أن تفعلَ بنا إلا ما لا بدّ لنا منه. وإذا كان المُرادُ بالصّلب القتلَ وكان المرادُ تهديدَ جميعِ المؤمنين، كان قولُهم: إنّا إلى ربّنا منقلبون تشوُّقًا إلى حلولِ ذلك بهم محبّةً للقاءِ الله تعالى، فإنَّ الله تعالى لمّا هداهُم إلى الإيمان أكسبَهم محبّةَ لقائِه[1].

بَلاغةُ تَقديمِ الجارّ والمجرور ﴿إِلَىٰ رَبِّنَا﴾:

بيانُ أهمّيّةِ تخصيصِ العُبوديّةِ لله المَعبودِ

وفي تقديم الجارِّ والمجرور ﴿إِلَىٰ رَبِّنَا﴾ دلالةُ الاختصاص، أي أنّهم لا يؤمنون بأحدٍ إلا ربَّ العالمين، وأنّه لا انقلابَ الى غيره[2]، وفيه تبرّؤٌ من فرعونَ ومن ربوبيّته[3].

بَلاغةُ اتِّحادِ الضّمائرِ، في السّياقِ الحكيمِ:

التّعريضُ بكذِبِ فرعونَ، وإيثارُ ما عندَ اللهِ تعالى على ما عندَه

إضافةُ الرّبوبيّةِ إلى الضّمير (نا) قُربٌ، وتخصيصٌ له بهم، ونأيٌ به عن فرعونَ وملئِه، فيكونون قد عَنوا بقولهم هذا أنفسَهم وحدَها، وأرادوا أنّهم لا يُبالون ما يكونُ من قضائه فيهم وقتلِه لهم؛ لأنّهم راجعون إلى ربّهم، راجون مغفرتَه ورحمتَه بهم، وحينئذ يكونُ تعجيلُ قتلهم سببًا لقرب لقائِه، والتّمتّعِ بحُسن جزائِه، كأنّهم استطابوه شَغفًا في لقاء الله. ويجوز أن يكونوا قد عَنوا أنفسَهم وفرعونَ جميعًا، وأرادوا: إنّنا وإياك سننقلبُ إلى ربنا، فلئن قتلتَنا فما أنت بخالدٍ بعدَنا، وسيحكمُ ﷻ بعدلِه بينك وبينَنا[4]. وفيه تعريضٌ بكذبِه في دعوى الرّبوبيّةِ، وتصريحٌ وإيثارُ ما عند الله تعالى على ما عنده منَ الشّهوات الدّنيويةِ[5].

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 4/365، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/55.
(2) الإندونيسّي، الشّامل في بلاغة القرآن: 1/491.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/365.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/365، ومحمد رضا، تفسير المنار: 9/66.
(5) رضا، تفسير المنار: 9/67.

قَصْدِيّةُ التَّعْبير بالجُملةِ الاسميّةِ، واسمِ الفاعلِ:

تَحقُّقُ الحُدوثِ، وثباتُه وصْفًا، لأنَّ إليه تعالى المُنتهَى

يدلُّ التَّعبير بالجُملة الاسميّة ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ على يقينِهم من رجوعِهم إلى اللّه تعالى بالموت انقلابًا ثابتًا، رسّخه التّعبيرُ باسم الفاعل ﴿مُنقَلِبُونَ﴾ الدّالِّ على الحدوث المُتَحقِّق، الثّابتِ وصفًا دائمًا لهم في الحال، والاستقبال.

بَلاغةُ المُتشابِهِ اللّفْظِيّ بين آيةِ الأعراف (125)، وآيةِ الشّعراء (50):

الاستهانةُ بالتّهديدِ الكبيرِ، مُستغرِقٌ الاستهانةَ بما دونَه من تهديدٍ

قال تعالى هنا: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ﴾، وفي الشّعراء: ﴿قَالُواْ لَا ضَيۡرٌۖ إِنَّآ﴾ [الشّعراء: 50]؛ لأنّ قولَه: ﴿لَا ضَيۡرٌۖ﴾ مقابلٌ به ما تقدّمَ من قوله: ﴿وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ﴾ [الشّعراء: 44] لِما اعتقده السّحرةُ أوّلا من أنَّ له عزةً ونسبوها إليه، فظنّوا أنه يقدرُ على ما يريده ويستبدُّ بفعلِه، ثمّ لمّا وضَحَ لهم الحقُّ، ورجعوا عن اعتقادهم وأيقنوا وعلموا أنَّ القدرةَ والعزّة للّه تعالى وحدَه، وسلّموا لخالقِهم ولم يبالوا بفرعونَ وملئِه فقالوا: ﴿لَا ضَيۡرٌۖ﴾، أي: لا ضررَ ولا خوفَ من فرعونَ؛ إذِ العزّةُ للّه وحدَه، ولم يقع من قولهم في الأعراف أولًا مثلُ الواقع هنا، فلم يَجيئوا في الجواب بهذا اللفظ[1].

ويَرشَحُ عن هذا التّفصيل في التّفريق إشراقةٌ بيانيّة تحريرُها: مناسبةُ قوله ﴿لَا ضَيۡرٌۖ﴾ في الشّعراء لمقام التّفصيل، والتّوسّع من ناحية[2]، ولمقام التّهديد الشّديد، والوعيد المؤكّدِ من ناحية أخرى؛ فإنّ تهديده في الشعراء أشدُّ وآكدُ ممّا في الأعراف فلو أنّهم قالوا في الأعراف (لا ضير) دون الشعراء لَظُنَّ أنّهم هابوا التّهديد الشّديدَ، فلم يَنطقوا بما يدلُّ على عدمِ الاكتراث؛ إذْ منَ المُعتاد أن يرهبَ الانسانُ التّهديدَ الكبيرَ دون الصّغير، أمّا إذا استهانوا بالتّهديدِ الكبير ولم يكترثوا به، فإنَّ ذلك يدلُّ على أنّهم أقلُّ اكتراثًا

(1) ابن الزّبير، ملاك التّأويل: 1/222.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 4/366.

بالتّهديد الأدنى، وأقلُّ رهبةً له، فناسب هذا أن يقولوه في موطن التّهديدِ الشّديد دون الأدنى[1].

بناءُ القصّةِ في (الشّعراء)، على التّفصيلِ، وفي (الأعراف) على الاخْتِصارِ:

الاسْتِغناءُ عن تَكرار (لا ضيرَ)، في أحدِ المَوضِعَيْن، يُناسبُ التّفصيلَ والإيجازَ

علّةُ عدم ذكرِ (لا ضير) في الموطنين؛ لأنَّ ذكرَه في موطن التّهديدِ الكبير يُغني عن ذكره في الموطن الأدنى وذلك من باب الأولى، ثمّ إنّ ذكرَه في الموطنين مخلٌّ بالإيجاز؛ إذ إنَّ ذلك مفهومٌ منَ الموطنِ الأوّل، ثم إنّ بناءَ القصّة في الشّعراء، قائمٌ على التّفصيل، وبناءَها في الأعراف قائمٌ على الاختصار، وذلك يقتضي أن يُفصّلَ ما يقضي التّفصيل، ويُختصرَ ما هو معلوم وما لا حاجةَ لذكره[2].

(1) السّامرائي، التّعبير القرآنّي، ص: 297.
(2) السّامرائي، التّعبير القرآني، ص: 297.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 14 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-10-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 14 : المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-10-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0402725 بتاريخ 2023/12/30م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»